

وحافظة كلما قيدت من العلم شيئاً أمنا ضياعه^(١)

من شعره أيضاً في رثاء إحدى كريماته:

يكدر العيش إذ أكون مع النا س ويصفو إن كنت في البيت وحدي

سرني الانفراد حتى إذا ما ذكر الموت.. حن قلبي للحدى^(٢)

والأمثلة التي عرضنا لها آنفا لا تدفع تهمة انحياز الشاعر إلى اللغة العامية، واللغة الشعرية التي نستطيع أن نحدد ملامحها عند عثمان جلال تقف في النهاية عند مستويين:

لغة وسطى مستعملة قريبة إلى حد ما من الفصحى في طبقتها العالية، ولغة عامية دارجة تقترب من لغة الواقع المعاش في معظمها، وتنزل أحيانا قليلة إلى درك من الإسفاف اللغوي عندما يسرف الشاعر في استعمالها كما ينطق بها أصحابها وفي ذلك يقول الأستاذ عمر الدسوقي: (.. كان أديبا مطبوعا، ثائراً على المدرسة التقليدية، التي تحاكي الأدب القديم في محسناته، وفخامته، وموضوعاته.. ولولا ما شاب أدبه من إسفاف في اللفظ وجنوح إلى العامية إفراطا منه في مصريته لكان من أفذاذ الأدباء المصريين أصحاب المبادئ في الأدب).^(٣)

ومع ذلك فآثار محمد عثمان جلال الأدبية تميل إلى نظم الزجل في أغلب المؤلفات أو المترجمات مع قليل من الشعر في بعض الأحيان- عدا ديوان الشعر الذي يحمل اسمه فالشاعر صاحب ملكة تميل إلى البساطة الغوية، وعن تلك الملكة يقول العقاد: (.. كانت هذه الملكة تنزع به إلى نظم الزجل غالبا، والشعر

(١) العيون اليواظ، المقدمة، تحقيق الشاعر عامر بحيرى، ط١٩٧٨م.

(٢) المصدر السابق، نفسه.

(٣) في الأدب الحديث، عمر الدسوقي، ج ١ ص ١٠٧.